

قصة الحج

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

الموقع الرسمي للشيخ أحمد الطويان
www.attwayan.com

قصة الحج

في وادٍ غير ذي زرع بين الجبال والوديان
جعل الله البيت الحرام، لا ماء ولا زرع ولا
غرس، لا جمال في الطبيعة ولا نسيم في الجو ..
وادٍ مجذب مقفر لا أنيس ولا جليس ..
هناك البيت العتيق ..
أسكن الخليل فيه زوجته وابنه .

ارَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ
أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنْ
الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٥﴾

فاستجاب الله دعاء الخليل عليه السلام،
فهوت القلوب إلى البيت الحرام، وأقام الخليل
بيت الله مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾

وأوحى الله إليهما بتطهير بيته ١ وَإِذْ جَعَلْنَا
الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن
الشَّمْرَاتِ مَن وَامِنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٢٨﴾ .

دعاء إبراهيم لهذا البلد الحرام: **وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ...**

فيه تأمن النفوس وتطمئن القلوب وتنشرح
الصدور وتأنس الحياة ..

هذا البيت من الأسرار لهذه الأمة تجدد فيه
قيامها وأصالتها ودعوتها ومنهجها ...

قال الله تعالى: **اجْعَلِ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَمًا لِلنَّاسِ** .. بلد حرام مثابة وآمناً وسلاماً يجد
فيه الناس السلامة والاستسلام لله رب العالمين لا
شريك له ..

فانجذبت إلى البيت الحرام قلوب المسلمين

٨ قصة الحج

وهوت أفئدتهم إليه وانعطفت نفوسهم إليه،
يثوبون إليه على تعاقب الأزمان من جميع الأقطار
لا تنقضي لذة الأنس فيه والمحبة والاشتياق إليه،

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها

حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

يحدوهم شوق إلى تلك البقاع المباركة فيها
تسكب العبرات وتقال العثرات عند الركن والمقام
والحجر والملتزم وزمزم والصفاء والمروة ذكريات لا
تنتهي ولا تنقضي ففي تلك الرحاب عظيم أنس.

حتى إذ لاح من بيت الإله لهم

نورٌ إذا هم على الغبراء أراجيل

يعفرون وجوهاً طال ما سهت

باكين حتى أديم الأرض مبلول

حفوا بكعبة مولاهم فكعبهم

عالٍ بها لهم طوف وتقبيل

وبالصفاء وقتهم صاف بسعيهم

١٠ قصة الحج

وفي منى لمناهم كان تنويل

تعرفوا عرفات واقفين بها

لهم إلى الله تكبير وتهليل

* * *

يحن إلى أرض الحجاز فؤادي

ويجدو اشتياقي نحو مكة حادي

ولي أملٌ مازال ينمو بهمتي

إلى البلدة الغراء خير بلاد

بها كعبة الله التي طاف حولها

عباد هم لله خير عباد

لأقضي فرض الله في حج بيته

بأصدق إيمان وأطيب زاد

أطوف كما طاف النبيون حوله

طواف انقياد لا طواف عناد

وأستلم الركن اليماني تابعا

لسنة مهدي وطاعة هاد

وأركع تلقاء المقام مصليا

صلاة أرجها ليوم معاد

* * *

لله كم لهذه البقعة المباركة من محب ومشتاق،
فكم أنفق في حبها الأموال والأرواح ..
ورضي بمفارقة فلذات الأكباد من الأولاد
والأهل والأصحاب والأوطان ..
يركب المخاوف والمصاعب وقلبه يهوى إليها
ويشتاق ...

فكم حج من حاج ولبى من ملب وطاف ..
جموع تتدفق وتزداد على مر السنين والأعوام.
﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَمَامٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾
لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ
مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ آلَا نَعْمَةٍ فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ومنذ ذلكم النداء والجموع والوفود تؤم هذا
البيت للحج جماعات وزرفرات ووجدنا ذكوراً
وإنثاءً وأطفالاً وشيوخاً حفاةً وركباناً.

يتوافدون من كل صقع من أصقاع المعمورة
من كل فجاجها ووديانها وجبالها وجزرها
وبحارها، ومدنها وقراها ودولها ..

لباس واحد وصوت واحد: «لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك لبيك».

فتلبي بتلبيتهم الأرض والسماء والشجر
والحجر والسهل والوعر والرمل والجبل.

قال صلى الله عليه وسلم : «ما من ملبٌ يلبي

إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا» [رواه الترمذي وهو صحيح].

بيت حجّه الأنبياء والمرسلون وأمّه القاصدون
يرجون رحمة الله الغفور الرحيم ..

قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا
وَيُنْخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ
وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَبِّي
إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا...﴾ .

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ وَابِتُ بُيُوتُ
مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا...﴾ .

جاءت الرسالة الخاتمة لتعلن مكانة البيت
وتؤكد صلة الأمة المحمدية به،

فبعث الله نبيها من البلد الحرام وأنزل فيها
الوحي فكانت منبع الرسالة، وأمرت هذه الأمة
باستقبال هذا البيت ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فصار البلد الأمين قبلتهم أحياءً
وأمواتاً ..

وأوجب الله عليهم الإتيان إليه من كل فج
عميق فيدخلونه متواضعين متذللين متجردين من
زخرف الدنيا ولباسها ..

وأعلن رسولنا صلى الله عليه وسلم حرمة

فقال: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه».

وجعل الله قصده مكفراً للذنوب وماحياً للسيئات ورافعاً للدرجات ولم يرض الله لقاصده ثواباً دون الجنة و«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وجعل الصلاة فيه عن مائة ألف صلاة عما سواه وحرّم دخول المشركين إليه ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا... ﴿١٨﴾ .

وتتعاقب الأجيال وتمر القرون وهذا المسجد
الحرام محفوظ بحفظ الله تعالى يؤمه كل عام وفود
الحج من كل صقع يؤدون فريضة الحج، آمين
البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا.

في رحلة إيمانية فيها عبادات عظيمة وذكريات
كريمة لقاء يجمع القلوب والأبدان ويُظهر وحدة
المسلمين وقوتهم، يتجسد فيه الجسد الواحد
والبنيان المرصوص ويبقى الحج شعار الوحدة
والتوحيد والأخوة الإسلامية الخالدة.

ورمز البذل والتضحية ...

فهو الملتقى الأكبر الذي تجتمع فيه البشرية
المسلمة بجميع أجناسها ..

وهو دين وتعبد تظهر فيه معاني العبودية
والتسليم والانقياد ..

والحج جهاد لا شوكة فيه .. وجهاد
الضعيف والمرأة جهاد في البذل والعطاء وتحمل
المشاق.

قال عمر رضي الله عنه: «شدوا الرحال
للحج والعمرة فإنهما أحد الجهادين ..».

قال صلى الله عليه وسلم : (نعم الجهاد الحج)
وقال صلى الله عليه وسلم : (لكن أحسن الجهاد

٢٠ قصة الحج

وأجمله حج مبرور).

في الحج تسمو الأخلاق وترتبط القلوب
وتتحد النفوس ويتراحم المسلمون، ويئذل
الباذلون ويتصدق المتصدقون ويحسن المحسنون
وينفق المنفقون.

قال صلى الله عليه وسلم : (الحجاج والعمار
وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم) [رواه
البزار وهو حسن].

منافع دينية ودينية:

تآلف وتآخٍ ودعوة وأمر بالمعروف ونهي عن
المنكر وتعليم للجاهل وإرشاد للضال، وإطعام
للطعام وتفريج كربة وتنفيس هم وغم.

فيه يستجاب الدعاء وتقال العثرات ويباهي
الله بعباده أهل السماوات، تلبية وتكبير ورمي
ومبيت وطواف شعائر البيت العتيق ..

أيها الإخوة:

وإن اختفت المعاني السامية في الحج والحكم
العظيمة وفقد كثير من الناس تعظيم حرمان الله
وشعائر الله صار الحج مجرد عادة ومباهاة وتقليد

ومحاكاة ولذلك ورد في الأثر عن أنس رضي الله عنه: يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمي للترهة وأوسطهم للتجارة وقراءؤهم للرياء وفقراءؤهم للمسألة. وقال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بالبيت يهون عليهم السفر ويسط عليهم الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين ..).

يهدي أحدهم بعيره بين القفار وجاره مأسور إلى جنبه ما يواسيه .. أي تقل المبالاة بالعمل الصالح وتقديم الأصلح بسد فاقة الجار والإحسان عليه مع إنفاق الأموال في طرق أخرى.

ولذلك تجد أحاديث الناس في الحج وبعد الحج عن الأمور الشكلية والتنظيمية والمرافق

والاهتمام بالأمر المادية دون النظر فيما هو أهم وأكرم وأعظم في أمر القبول وإتقان العمل والتنافس بالعمل الصالح واستغلال فضيلة الزمان والمكان ..

بل إن أحدهم إذا أراد الحج بحث عن المميزات في الأكل والشرب والنوم والراحة والترف.

دون البحث عن العلم والدعوة والتأثر والخير والانتفاع بمشاعر الحج، والقيام بأداء هذا الركن العظيم كما أمر، ولذلك قال تعالى في ذكر دعاء الحاج: ﴿... فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ
يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّمَّا كَسَبُوا... ﴿٢٦﴾ .

أيها الإخوة في الله ..

الأعداء ينظرون إلى هذا البيت أنه رمز للأمة
المحمدية وأن هذا البيت هو سر تعلق المسلمين
بعضهم ببعض ولذلك سعوا للتزهد في هذه
العبادة أو التقليل من أثرها ودورها في حياة
المسلمين، حتى تكون مجرد تنقلات وطقوس
سرعان ما تكون حكايات وكلمات يتناقلها

الناس في مجالسهم ..

واسمعوا إلى أحدهم وهو يتكلم عن الحج فيقول: «متى اقتربوا من الكعبة من البيت الحرام من زمزم الذي ينبع منه الماء المقدس من الحجر الأسود المحاط بإطار من فضة من الركن الذي يقولون عنه أنه سرّة العالم وحققوا بأنفسهم أمنيّتهم العزيزة التي استحسّتهم عن مبارحة بلادهم في أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق في بيته الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية في أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفًا...» إلخ كلامه.

أيها الإخوة:

في موسم الحج عقدت بيعة العقبة الأولى والثانية لنصرة الإسلام، وفي موسم الحج تمت براءة المسلمين من المشركين فأنزل الله على رسوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ومنع المشركون من الحج ... وإن البراءة من المشركين ليست بالمظاهرات والتهافتات والمسيرات فهذه شغب وإلحاد وغوغائية وأفعال لا قيمة فيها ولا أثر إلا إثارة القلاقل والخوف وترويع الآمنين ومخالفة لقدسية البلد الحرام ..

إن البراءة من المشركين تقتضي بغضهم

وإعلان العداوة في القلب والعمل والسعي لتبصير المسلمين بحقائق الدين وزيف ما عليه المشركون وما يعدونه ضد أمة الإسلام ولو استغل موسم الحج للإصلاح والدعوة ونشر العقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح للنظرة للحياة وإيقاظ جذوة الإيمان في القلوب وأن هناك ثمة جهود ولكن تحتاج إلى أكثر وأكثر من الإبداع في التوجيه والتنظيم الذي نصل به إلى أداء شيء من الواجب .. ففي موسم الحج خطب الرسول صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع التي أوضح فيها معالم الرسالة ومنهج الإسلام وبلغ الرسالة في ذلك الجمع العظيم.

وإننا في مثل هذا الوقت بالذات بحاجة ماسة إلى أن تعود لموسم الحج ريادته فتعالج فيه كثير من الانحرافات العقديّة والفكرية.

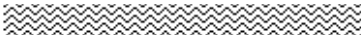
إن الواجب على أهل هذه البلاد المقيمين فيها أن يكونوا دعاة خير وإصلاح وتوجيه لإخوانهم في الدين الذين أتوا من كل مكان سواء الحجاج منهم أو من لم يحج فتتكاتف الجهود لإيجاد وسائل الدعوة ونشرها بين المسلمين.

فابن هذه البلاد والمقيم فيها لابد أن يكون داعية ومعلماً وموجهاً ورجل أمن يحافظ على كل ما فيه صلاح هذا الموسم ..

أيها الإخوة:

نحن بحاجة إلى استغلال عشر ذي الحجة التي هي أفضل الأيام عند الله كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استغلالها بالإنفاق والصيام والتسبيح والتهليل والتكبير وكثرة وجوه الخير وكثرة الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بصلاح أحوال المسلمين في كل مكان، والدعاء على أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

فالعمل الصالح في هذه العشر يماثل من خرج مجاهداً في سبيل الله بما له ونفسه فأنفق ماله وأزهقت نفسه في سبيل الله فأكثروا من التكبير في هذه العشر وأيام التشريق ..

٣٠  قصة الحج

* * *